ILUSTRAÇÃO PAULA GABBAI

الضفة الثالثة للنهر

جواو كيمرايس روزا

ترجمة – باولو دانييل فرح وابراهيم الركيبي

Tradução/Traducción - Paulo Daniel Farah e Ibrahim Errguybi

148-155_Terceira Margem.indd 63 06.01.09 11:09:48

A TERCEIRA MARGEM DO RIO

No contexto das comemorações do centenário do nascimento de João Guimarães Rosa (1908-2008), publica-se nesta edição o conto "A Terceira Margem do Rio" (extraído da obra *Primeiras Estórias*) em língua árabe. Essa tradução integra um projeto amplo da BibliASPA (Biblioteca e Centro de Pesquisa América do Sul-Países Árabes) de tradução de textos literários sul-americanos para o árabe.

EL TERCER MARGEN DEL RÍO

En el contexto de las conmemoraciones del centenario del nacimiento de João Guimarães Rosa (1908-2008), se publica en esta edición el cuento "El tercer Margen del Río" (extraído de la obra *Primeras Historias*) en lengua árabe. Esa traducción integra un proyecto amplio de la BibliASPA (Bliblioteca y Centro de Investigación América del Sur-Países Árabes) de traducción de textos literarios sudamericanos para el árabe.

الضفة الثالثة من النهر

في اطار الاحتفالات بمررو مئة سنة على ميلاد الكاتب البرازيلي جواو كيمرايس روزا (١٩٠٨ – ٢٠٠٨) ننشر في هذا العدد قصة "الضفة الثالثة من النهر" باللغة العربية المأخوذ من كتاب (القصص الاولى) . تدخل هذا الترجمة في مشروع واسع تسعى من خلاله مكتبة مركز بحوث امريكا الجنوبية و الدول العربية إلى ترجمة النصوص الادبية بأمريكا اللاتينية إلى لغة الضاد .

LA TROISIÈME RIVE DU FLEUVE

À l'occasion de la commémoration du centenaire de la naissance de João Guimarães Rosa (1908-2008), cette édition publie en version arabe le conte "La Troisième Rive du Fleuve" (extrait de l'oeuvre *Premières Histoires*. Cette initiative fait partie d'un vaste projet de la BibliASPA (Bibliothèque et Centre de Recherches Amérique du Sud-Pays Arabes) de traductions de textes littéraires sud-américains vers l'arabe.

THE THIRD BANK OF THE RIVER

Within the context of the celebrations of the 100th anniversary of the birth of João Guimarães Rosa (1908-2008), the short story "The Third Bank of the River" (extracted from the work *First Stories*) is being published in Arabic in this edition. This translation is part of a wide-ranging project of the BibliASPA (South American-Arab Countries Library and Research Center) involving the translation of South American literary texts to the Arabic language.

148-155_Terceira Margem.indd 64 06.01.09 11:09:51

كان أبونا وفيا بوعوده و منظما و إيجابيا. و قد شب على هذه الاخلاق منذ نعومة أظفاره و خلال مدة شبابه كما أكدت ذلك شهادات مختلف عقلاء الناس، وهذا ماعرفته عندما بدأت في جمع المعلومات عن والدي.

ومما أذكره أنه لم يكن فرحا جدا أوحزينا جدا مقارنة مع الآخرين المعروفين لدينا، بل كان هادئ الطبع.

كانت أمنا هي التى تقود دفة البيت و تهتم بشئوننا، أختي و أخي و أنا، وشئون البيت اليومية.ولكن حدث في يوم من الايام أن أبي طلب صُنع قارب له، وكان جادا في هذا الامر.

وفعلا طلب من صانع القوارب أن يصنع له قاربا خاصا و مصنوعا من خشب شجرة الالفيناتك. كان يريد قاربا صغيرا بمجداف واحد فقط بحيث يسع جذافا واحدا.

كان مصرا على أن يكون القارب مصنوعا بالكامل من أخشاب مختارة وقويه ومدعومة بالريجو، بحيث يتحمل البقاء في الماء ما بين عشرين و ثلاثين سنة.

عارضت أمي كثيرا الفكرة وأقسمت ضدها. هل من الممكن بعد أن يتكاسل أبي في مثل هذه الفنون، يأتي ليقترح علينا الآن الصيد و القنص؟ لاذ أبي بالصمت و لم يجب بشيء.

كان، وقتئذ، بيتنا قريبا من النهر، بحيث لم يكن يبعد عن الضفة بأكثر من ربع فرسخ: كان النهر عميقا و هادئا كما هي عادته دائما.

كما كان عريضا بحيث يصعب رؤية الضفة الاخرى منه. و لايمكنني أن أنسى يوم أصبح القارب جاهزا.

و بدون فرح ولا حذر، وضع أبونا قبعته و نطق بكلمة الوداع دون إضافة أي كلمة أخرى. لم يأخذ معه أكلا ولا لفة ولم يوصينا بأي شيء.

كنا نظن أن والدتنا سترعد و تزبد ولكنها ثبتت بيضاء من شدة اصفرار لونها و لاكت شفتها ثم قالت بصوت عال: أنت ذاهب، إذن ابق هناك و لا تعد أبدا.

لم ينبس أبي بكلمة واحدة. نظر إلي نظرة حنونة وطلب مني الاقتراب منه بعض الخطوات . خفت من غضب أمي ولكنني أطعت أبي.

كنت متحمسا لما فعل أبي بحيث سألته: يا أبي هل لك أن تأخذني معك في قاربك؟ نظر إلي و باركني و أشار إلي بالرجوع إلى الوراء و نفذت أمره. و لكنني اتجهت الى مغارة الغابة قصد معرفة المزيد. ركب أبي قاربه و حل الحبل بواسطة المجذاف، فانطلق

148-155_Terceira Margem.indd 65 06.01.09 11:09:54

القارب طويلا وسط النهر، إضافة الى ظله المساوي له في الحجم، مثل التمساح.

لم يعد والدنا. لم يذهب الى أي مكان. اخترع فقط حكاية المكوث في فضاءات النهر، من هنا إلى هناك دون أن يخرج من القارب أبدا. إن الاستغراب من هذه الحقيقة أرعب الجميع. فما لم يحدث

وقع. فقد اجتمع اقاربنا و معارفنا و جيراننا و عقدوا اجتماعا للتشاور.

أمنا التي غلبها الخجل تصرفت بكثير من الحذر، لهذا ظن الجميع و أجمعوا بأن والدي أصيب بما لم يكونوا يرغبون الحديث فيه الاو هو الحمق.

و لكن البعض ظن بأن أبانا كان يفي بوعد ما قطعه على نفسه، أو أنه، من يعلم، أصيب بمرض مشوه مثل البرص و قرر الابتعاد عن الاسرة مع البقاء قريبا منها في الوقت ذاته. و قد انتشرت اصوات الاخبار التي يقوم بنشرها المارون و سكان ضفاف الانهار بما فيهم البعيدون يصفون أبانا بصفته رجلا لا يريد النزول الى البر لا من جهة الزاوية او في أي نقطة أخرى سواء ليلا او نهارا بحيث ان الشكل الذي كان يمر بمفرده منعزلا قاطعا النهر.

استنتجب أمنا، اضافة الى أقاربنا، أن المواد الغذائية التي حملها والدنا معه في القارب قد أوشكت على الانتهاء. فبالتالي سيكون امام أمرين، فإما النزول الى البر ثم الرحيل دون عودة او سيقوم بما هو أحسن: سيندم ثم يعود بشكل نهائي الى البيت.

كان وهما فقط. فقد كنت مكلفا بمنحه قسطا من الاكل المسروق: كانت أول فكرة فكرت فيها عندما قرر أقاربنا اشعال النيران على ضفاف النهر، بحيث كانوا يصلون على ضوءها و ينادون أبي. و في اليوم الموالي ذهبت بالحلوى المصنوعة من عصير قصب السكر و شيء من الخبز و عنقود موز.

لقد أبصرت أبي بعد مرور ساعة جد مهمة لبقاءه على الحياة: فقط هكذا جالسا في مؤخرة قاربه الممتد على صفحة النهر. لما رآني لم يجذف في اتجاهي و لم يعط أي اشارة. أظهرت ما سيؤكل و وضعته في جوف حجر الهوة بعيدا عن متناول الحشرات و محميا من المطر و القطرات.

قمت بهذا العمل مرات و مرات. و قد فوجئت بعد ذلك بأن أمي كانت على علم بمهمتي هاته و كانت تتظاهر بأنها لا تعلم شيئا بحيث كانت هي نفسها تيسر هذا العمل تاركة بقايا الطعام حتى أتمكن من أخذها لأبي. فلم تكن أمي تظهر كثيرا هذا الامر.

لقد استدعت خالي اخاها ليساعد في المزرعة و في الصفقات، كما استدعت لنا معلما ليعلمنا.

148-155_Terceira Margem.indd 66 06.01.09 11:09:57

و طلبت من الراهب ليدعو أبي في شاطئ النهر كي يتراجع عن عناده الغريب. و من جهة أخرى، و بسبب الخوف قدم جنديان للقيام بالحراسة، لكن بدون جدوى و لا نفع.

فقد كان أبي يمر في النهر مشاهدا أو مختبأ، وسط قاربه دون ان يترك الفرصة لأحد للمسه أو للحديث معه.

و بالرغم من قدوم أحد الصحفيين، منذ وقت ليس ببعيد، بقاربه قصد الحديث معه و معرفة قصته لم ينجح في مهمته: كان أبي يختفي في الجانب الآخر من النهر بحيث كان يربط قاربه في المستنقع على بعد عدة فراسخ. كان المستنقع يوجد بين الغابة و نباتات المستنقع بحيث لا يعرف ذلك المكان المظلم شخص غيره .

لقد كنا مضطرين للتأقلم مع تلك الوضعية. بالرغم انه من الصعب، في الحقيقة، التكيف مع مثل هذا الوضع. و ابدأ بنفسي، فما أريده و ما لم أكن أريده هو أنني كنت أرتاح فقط بمعية والدي، و هو الموضوع الذي كنت أسعى لنسيانه و عدم التفكير بشأنه.

و ما كان صعبا علي فهمه هو كيف كان يتحمل. فنهارا أو ليلا، سواء كانت الشمس ساطعة او الامطار هاطلة، في يوم الحر و في الندى و في أوقات البرد الشديد في وسط السنة بدون بيت ، فقط بقبعته القديمة على رأسه طيلة كل الاسابيع و الشهور و السنوات دون الشعور بمعنى الحياة.

لم يكن يتوقف بأي من ضفتي النهر و لا في الجزر و ثقوب النهر، لم يضع قدمه لا في البر و لا فوق الحشائش.

و يقينا فقصد النوم كان يربط قاربه في إحدى جزر النهر البعيدة عن الاعين.

و لكن لم يشعل نارا في الشاطئ و لا استفاد من نورها و لم يتجرأ على استعمال عود الثقاب. فما كان يأكله كان يقتصر على ما كنا نضعه له بين جذور النباتات او في جوف الحجر بحيث كان يأخذ القليل الذي لم يكن كافيا.

ألم يكن يمرض؟ و ماذا عن قوة العضلات ليستمر في التجذيف في وقت العواصف و في ارتفاع مستوى النهر و ضد التيار الكبير للنهر بحيث يصبح كل شيء خطرا، و ماذا عن جثث الحيوانات الميتة و جذوع الاشجار النازلة!!

لم يتحدث بكلمة مع أي شخص. نحن أيضا لم نكن نتحدث عنه و نقتصر فقط على التفكير فيه. لم يكن بالامكان نسيان أبي، و إذا حاولنا نسيانه و لو قليلا فلأجل إشعال جذوة التفكير فيه و تذكره من جديد ضمن أمور أخرى.

لقد تزوجت أختي و لم ترد أمي تنظيم الحفل. فقد كنا نفكر في أبينا حين سنأكل الأكل اللذيذ. ففي جوف الليل اثناء تلك الليالي الممطرة الباردة القوية، نتصور أبانا حاملا للمجذاف قصد إفراغ قاربه من الماء الهاطل

148-155_Terceira Margem.indd 67 06.01.09 11:10:00

في بعض الاحيان كان يظن بعض أقاربنا أنني ساكون مثل أبينا. و لكنني كنت أعلم أنه أصبح كثير الشعر و اللحية و ذي أظافر طويلة، سيئا نحيفا بحيث اسودت بشرته بسبب حرارة الشمس. أتصوره كالحيوان شبه عار بالرغم من امتلاكه لبعض الملابس التي كنا نزودها بها من حين لآخر.

لم يكن يريد أن يعرف أخبارنا، هل انعدم إحساسه؟ و لكن بسبب هذا الاحساس كنت دائما، باحترام، أحمد بسبب بعض الاعمال التي كنت اقوم بها.

كنت دائما أرد: لقد علمني هذا أبي في إحدى الايام"، و لم يكن الامر حقيقة بشكل كامل بحيث كان كذبا في الحقيقة. فإذا لم يعد يتذكر و لا يريد ان يعرف من اخبارنا ، فلماذا إذن لا يصعد او ينزل في النهر في الاماكن التي لا نلتقي فيها به؟ فقط هو يعلم الجواب.

رزقت اختي بولد و أصرت على أن تري الحفيد لجده. فذهبنا كلنا قريبا من الحفرة، لقد كان يوما جميلا. كانت أختي ترتاد لباسها الذي استعملته يوم زواجها. كانت تحمل ابنها فوق ذراعيها محمية بواسطة المظلة الشمسية التي كان زوجها يحملها لوقاية الأم و ابنها من حرارة الشمس.

ناديناه و انتظرنا. لم يظهر أبونا. لقد بكت اختي و بكينا جميعا متعانقين.

انتقلت اختي صحبة زوجها بعيدا عن منزلنا. و قرر اخي الذهاب الى المدينة. تغيرت الاحوال ببطء عجلة الاوقات.

فقد قررت امي هي الاخرى الذهاب للإقامة مع اختي بحكم سنها المتقدم. و بقيت أنا بمفردي هنا.

لقد أكن قادرا على الزواج، فقد احتفظت بأثقال الحياة. كان ابي محتاجا لي، فقد كنت أعلم في وسط النهر غير واع بما فعل.

مهما كان الامر فعندما كنت أريد ان اعرف و بثبات بدأت البحث قلت لنفسي ما كان يقوله الناس : لقد باح أبي ل صانع القارب بأنه كان يريد القيام بسياحته.

و لكن هذا الرجل قد مات و لا احد يعلم و لا احد يتذكر أي شيء إضافي.

فقط الاحاديث الملفقة الخالية من اي معنى مثل قولهم انه في بداية الفياضانات و الامطار الغزيرة حيث كان الكل يخشى نهاية العالم، أن أبي اخبر كما اخبرنوح عليه السلام، فصنع القارب تحسبا و ها أنذا أتذكرالآن فقط.

لا استطيع أن اتهم أبي. و بدأوا يشيرون الى الشعيرات البيضاء التي بدأت في الظهور.

انا رجل حزين الكلمات. ما ذنبي لأتحمل كل هذا؟ إذا كان أبي الذي كان غائبا دائما: إنه النهر، النهر، النهر المتهم الحقيقي

148-155_Terceira Margem.indd 68 06.01.09 11:10:02

لقد كنت اعاني من بداية شيخوختي، فقد كانت هذه الحياة فقط معاناة. فقد كنت اعاني من وجع الرأس و القلق و التعب و الكسل و الروماتيزم. و ماذا عنه هو؟ لماذا؟ من المؤكد أنه كان يعاني كثيرا.

فبحكم السن المتقدم لم يكن ليذهب يوما بعد يوم ليعرض القوة و ترك القارب ليغرق بدون دقات بجانب النهر قصد ان يظل ساعات في التحت قريبا من الشلال بسبب الم الموت.

كان القلب يعتصر ألما.

كان هناك بدون هدوئي. انا المذنب بالذي لا اعرفه من الالم المفتوح في ساحتي. آه لو كانت الامور بشكل آخر. و بدأت بتبني الفكرة.

بدون القيم بالصلاة. هل انا احمق؟ لا، ففي بيتنا لم تكن تلفظ كلمة احمق و لم تلفظ قط طيلة سنوات عديدة، لا أحد كان يُنعت بالحمق.

ليس هناك اي احمق، او الكل احمق. فقط قمت بما كان هناك. اخذت الثوب حتى تكون الاشارة اكثر.

كنت كثيرا غارقا في احاسيسي. انتظرت، و في الاخير ظهر هنا و هناك الجسد. كان هناك جالسا قريبا من المكان. كان هناك يصرخ. ناديت اكثر من مرة. و قلت ما كنت احس به مقسما و معلنا بصوت عال: ابي لقد اصبحت عجوزا، قد مر... الآن جئت، لم تعد محتاجا لقد جئت و أنا الآن مهما كان، كلا الارادتين سأحتل مكانك في القارب".

بعد ان قلت هذا دق قلبي في الاتجاه الصحيح.

أنصت إلي و ظل واقفا. حرك مجذافه في الماء و وقف هناك موافقا على ما قلت.

لقد ارتعدت عميقا بشكل مفاجئ لأنه من قبل رفع ذراعه و حياني لأول مرة بعد مرور عدة سنوات؟ لم اكن قادرا. من فضلك، شعري اقشعر، جريت و هربت اخذت نفسي من هناك، تحركت بشكل غير منظم.

لما رأيته قادما ظننته آتيا من العالم الآخر. و كنت أطلب و أطلب ثم أطلب العفو.

لقد عانيت البرد القاسي للمخاوف و مرضت. عرفت بألا أحد علم عنه شيئا. أنا رجل بعد هذا الموت؟ أنا ما لم أكن، ما سيكون صامتا. أعلم انه الآن قد فات الأوان و اخشى اختصار الحياة في ضفاف العالم.

و لكن، و على الاقل، انه في فصل الموت يأخذونني و يضعوني في قارب صغير من لا شيء، هذا الماء لا يتوقف ذي الضفاف الطويلة، و انا في النهر النازل و خارج النهر ثم داخل النهر، النهر.

148-155_Terceira Margem.indd 69 06.01.09 11:10:06